

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

Sexual violence against a child in the family

سلمى مصيبيح^{1*} ، جامعة قسنطينة²، (الجزائر)، selmameessibeh776@gmail.com

الربيع جصاص²، جامعة قسنطينة²، (الجزائر)، drabia65@yahoo.com

تاريخ قبول المقال: 21-10-2021

تاريخ إرسال المقال: 19-08-2021

الملخص:

يعتبر العنف على الطفل مشكلة اجتماعية لا تقل خطورة وأهمية على انتشار الأمراض وسوء التغذية، فهي مشكلة متعددة ومتداخلة الجوانب إذ تعددت أشكال العنف على الطفل واختلفت لتبرز إحداها وتتجلى في الإساءة الجنسية للطفل في الأسرة، والتي تحدث من طرف أحد أسرته أو أقربائه، ولحمايته من براثن هذه الظاهرة لا بد من تزويده بمعلومات وأفكار حول الجنس والهوية الجنسية أي تنشئته على تربية جنسية تكون بمثابة الدرع الواقي له.

الكلمات المفتاحية: العنف - الإساءة الجنسية - الطفل - الأسرة.

Abstract:

Violence against the child is considered a social problem of no less seriousness and importance to the spread of diseases and malnutrition. It is a multifaceted and intertwined problem, as there are many forms of violence against the child and differed, one of which emerges and is manifested in the sexual abuse of the child in the family, which occurs by one of his family or relatives, and to protect him from The clutches of this phenomenon must be provided with information and ideas about sex and sexual identity, i.e. upbringing him on a sexual education that serves as a protective shield for him.

Key words : Violence - sexual abuse - the child - the family.

* سلمى مصيبيح.

مقدمة:

إن ظاهرة العنف تعد من أكثر الظواهر انتشاراً، فهي ظاهرة قديمة جديدة في الوقت نفسه ولعل أكثر مظاهرها الملفتة للنظر الموجه منها إلى الطفل، فسوء معاملة الطفل واستغلاله جنسياً من قبل أشخاص أكبر منه سناً أضحت ظاهرة واسعة الانتشار في مختلف المجتمعات، متقدمة كانت أم متخلفة، ريفية أو حضرية الأمر الذي جعل منها حقلاً خصباً استقطب اهتمامات الباحثين على اختلاف تخصصاتهم اجتماعيين ونفسانيين، ناهيك عن الاتصالات الجنسية بين الأطفال والصبية وما كتب عن العلاقة الجنسية بين المحارم وسفاح القربى، إذ يتخذ العنف أو الاعتداء الموجه إلى الطفل شكلاً آخر يتجلى في مظاهر التحرش والاستغلال الجنسي الذي يعتبر اتصالاً جنسياً بين طفل وشخص بالغ من أجل إرضاء رغبات جنسية باستخدام القوة والسيطرة على الطفل.

فلاعتداء الجنسي على الطفل من قبل الأب على ابنته أو ابنه أو الأخوة أو أحد أفراد جماعة الأصدقاء يفرز جروحاً عاطفية عند الطفل، وأمراض سلوكية عندما يكبر كصعوبة التعلم أو الهروب من المسؤولية أو اتصال جنسي غير شرعي أو كوابيس ليلية أو الانطواء أو العزلة.

وباعتبار الطفل فرداً ضعيفاً جسدياً وقليل الخبرة فهو ينفاد بسهولة للأكثر منه سناً وخبرة، ففي مختلف أنحاء العالم يقع الطفل ضحية العنف والاعتداء الجسدي والاستغلال الجنسي خلال تنشئته والتعامل معه، لذا فإنه يكون فريسة لكل مطارد له دون أن يدرك ما يعني انصياعه وطاعته للمعتدي عليه.

إن ارتفاع وتيرة العنف الجنسي على الطفل في شتى البيئات الاجتماعية وفي مختلف أنحاء العالم على غرار اختلافها الأيديولوجي وتمايز إرثها الثقافي الحضاري يدعو إلى طرح التساؤلات التالية:

ما طبيعة العنف الجنسي الممارس على الطفل في الأسرة؟ وماهي العوامل المؤدية للعنف الجنسي الموجه له؟ وما الدور الذي تلعبه الأسرة لمجابهة هذه الظاهرة؟ تلك الأسئلة وغيرها نسعى لتسليط الضوء عليها ولعل محاولة تحليل إجاباتها يقود إلى فهم أعمق وأدق لهذه الظاهرة المشينة.

وتأتي أهمية هذه الورقة العلمية بارتكازها على أهم شريحة في المجتمع ألا وهي شريحة الطفولة هذه الأخيرة التي تمثل مستقبل كل أمة. كما تكمن أهميتها في تناولها لظاهرة عالمية شكلت انتهاكاً صارخاً لحقوق المجتمع بأكمله، هذا إضافة إلى أنها سلطت الضوء على العنف الجنسي على عكس معظم الدراسات التي ركزت على العنف الجسدي.

وفي هذا المقام نسعى سعياً حثيثاً إلى رصد عوامل ظاهرة العنف الجنسي على الطفل في الأسرة وكشف النقاب عنها وإزالة الستار عليها والتصدي لها ومجابهتها عن طريق ترشيد وإعادة هيكلة مؤسسات التنشئة

الاجتماعية والخروج من هذه المعضلة المخجلة بحلول وقائية وعلاجية ومن ثم بتوصيات للتخفيف من حدتها.

أولاً: تحديد المفاهيم

1-1- العنف:

لغة: كلمة عنف في اللغة العربية من الجذر (ع-ن-ف)، وهو خرق الأمر وقلة الرفق به، وهو (عنيف) إذا لم يكن رفيقاً فيأمره، وفي الحديث الشريف "إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"

وعنف به، وعليه عنفا وعنافه: تأخذه بشدة وقسوة ولامه وعيره.

اعتنف الأمر: أخذه بعنف واثاه ولم يكن على علم ودراية به.

واعتنتف الطعام الأرض: كرههما.

والتعنيف : التعبير واللوم والتوبيخ والتفريع.

وهكذا تشير كلمة "عنف" في اللغة العربية إلى سلوك يتضمن معاني الضدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتفريع. وعلى هذا الأساس فإن العنف قد يكون سلوكاً فعلياً أو قولياً.¹

اصطلاحاً:

يعني العنف "كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية، والاهمال أو المعاملة المنطوية علة إهمال، إساءة معاملة أو استغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية"²

1-2- الإساءة الجنسية :

أو العنف الجنسي هو : " اتصال جنسي بين شخص بالغ وطفل من أجل إشباع رغبات جنسية مستخدماً القوة و السيطرة عليه ، كما يعرف على أنه دخول بالغين و أولاد غير ناضجين جنسيا و غير واعين لطبيعة العلاقة الجنسية حيث أنهم لا يستطيعون إعطاء موافقتهم لتلك العلاقة و الهدف هو إشباع المتطلبات و الرغبات الجنسية لدى المعتدي ".³

1-3- الطفل:

لغة: الطّفل: بكسر الطاء هو الصغير من كلّ شيء عينا كان أو حدثا، فالصغير من الأولاد في الناس -طفل، يقال: أطفلت الأنثى... أي صارت ذات طفل، والطفل هو المولود ما دام رخصا، والمولود حتّى البلوغ، وهو للمفرد المذكر، كما في قوله تعالى: {وإذا بلغ الطّفل منكم الحلم فليستأذنوا} سورة النور: الآية 59، يستوي فيها المذكر والمؤنث والجمع، قال تعالى: {ثم يخرجكم طفلا} سورة غافر: الآية 67. أو جمعا كما في القرآن الكريم: {أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء} سورة النور: الآية 31 وقد يجيء جمعه على أطفال.⁴

الطفل هو المولود أو الصغير من كل شيء، أو المولود، ج أطفال، والطّفل هو الولد حتى البلوغ ويستوي فيه الذكر والأنثى.⁵

اصطلاحا:

هو الانسان حديث الولادة سواء كان ذكرا أو انثى. كما عرف أيضا على أنه الشخص صغير السن منذ ولادته وحتى بلوغه سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر، وهو الابن أو الابنة في أي مرحلة سنية.⁶

في كتاب "فصول عن حقوق الطّفل" نقرأ: وقد حسمت اتفاقية العالمية لحقوق الطّفل أمرا طال فيه الجدل ونعني: ما المقصود بكلمة طفل؟ وكان اتجاه فيما مضى يشير إلى أنّه كل من يعتمد على والده ماديا واجتماعيا وقد ثبت أن الطّفل هو: كل البنيان لم يتجاوز الثامنة عشر، وقد كانت حاسمة في ذلك.⁷

الطفل "كيان في صيرورة" أي كيان في حالة من النمو المتواصل، وأن وجوده منفتح غير مغلق، ولهذا فإن الطفل الصغير يتّصف بالتلقائية، والرغبة في اقتحام المجهول، وهو يتعلم من البيئة المحيطة به، وإذا سمحت له الظروف، فإنه يستطيع أن يستثمر طاقاته الخلاقة في سن مبكرة؛⁸ فيحين عرفه آخرون بأنه الكائن الذي لم ينضج بيولوجيا، نفسيا واجتماعيا.⁹

1-4- الأسرة:

" هي نظام اجتماعي متكامل يتألف من عناصر تتفاعل معا ويؤثر كل منها في الآخر، كما تتأثر الأسرة وما يحكمها من علاقات بالمجتمع المحيط الذي توجد فيه ، فهي تتفاعل مع المجتمع وتأخذ منه الأفكار والعادات والتقاليد و نظم القيم و الإتجاهات ¹⁰

ويمكن القول أن الأسرة عبارة عن نظام مفتوح له حدود شبه نفاذة مع المجتمع الكبير بما فيه من ثقافة متميزة عن غيره فالأسرة هي نظام كلي يتضمن أنظمة فرعية أخرى ، فالعلاقات الأسرية التي تربط الأب والأم تمثل نظاما في تمثل العلاقات التي تربط الأولاد مع آبائهم نظاما فرعيا آخر .

ويمكن القول أن الأسرة عبارة عن نظام مفتوح له حدود شبه نفاذة مع المجتمع الكبير بما فيه من ثقافة متميزة عن غيره فالأسرة هي نظام كلي يتضمن أنظمة فرعية أخرى ، فالعلاقات الأسرية التي تربط الأب والأم تمثل نظاما في تمثل العلاقات التي تربط الأولاد مع آبائهم نظاما فرعيا آخر. ¹¹

ثانيا: نظريات العنف الجنسي على الطفل

هناك أكثر من نظرية طرحت تأويلاتها و تحاليلها فيما يخص العلاقة الجنسية التي تتم بين البالغين

و الأطفال ضمن الأسرة الواحدة التي لا يقرّها الشرع و مخالفة للطبيعة البشرية و يمكن حصرها في:

2-1- نظريات سفاح القربى : تندرج تحتها العديد من الاتجاهات والتي يمكن عرضها كما يلي:

2-1-1- الاتجاه الاول يمثله فرويد: إذ يعتبر هذا الأخير أول من حاول تنظير هذه السلوكية الشاذة و الذي قال فيها بأنّ جميع البالغين الراشدين لديهم دافع داخلي بالاتصال الجنسي مع الأطفال إنّما بسبب تنشئتهم الاجتماعية و المحرمات الثقافية التي تُكبت و لا يتمّ الإفصاح عنها بل تبقى رغبة مكبوتة بهذه الموانع الاجتماعية و الثقافية .

2-1-2-الاتجاه الثاني يمثله بول جهاارد: " و زملائه الذين شرحوا الاتصال الجسدي الذي لا يتمّ فيه الاتصال الجنسي و يحصل شرها و قسرا و يتحوّل فيما بعد إلى اتصال جنسي، إنّما عادةً لا يتحفّزون حسب ما يتوقعون عندما تكون القيود ضعيفة مثلا عندما يكونون سكارى ثملين أو متعطّشين للحب و العاطفة أو واقعين تحت ضغوط مجهدة، أي لو كان بعيدا عن هذه الضغوط فإنّ الموانع الاجتماعية و

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

الثقافية تكون فاعلة و قوية تمنع من التصرف العدواني على الطفل، لكن عندما يكون واقعا تحت ضغوطها فإنه لا يستطيع السيطرة على رغباته الجنسية المكبوتة فيبدأ بالقبل و الحزن والتي تصل فيما بعد إلى الاتصال الجنسي، و هذا لا يحصل لو لم يخضع لمثل هذه الضغوط التي أضعفت موانعه تنشئية و محرمانه الثقافية .

2-1-3- الاتجاه الثالث تمثله رسل: الذي قال بأن العلماء فشلوا في تأويل تحليل لماذا المرأة نادرا ما تتصرف بهذا التصرف لاسيما و أنها أيضا تخضع لمثل هذه الضغوط بذات الوقت هي محتاجة للحب و الحنان والمشاركة الوجدانية .¹² يُجيب " فنكلهور " : بأن ذلك راجع إلى تنشئة الذكر تختلف عن تنشئة الإناث أولا إذ تُعطى أهمية للأول - الذكر - في إثبات و تنمية ذكوريته على أنه هو المبادر في المصارحة الغرامية وهو الذي يجذب الجنس الآخر من خلال ذكوريته على عكس البنت التي تنشأ على الخنوع للذكر و الإعجاب بقوة جسده و استقلاله المالي، بالوقت ذاته هو الذكر ينجذب نحو الأنثى المطاوعة و الخنوعة له، علما بأن حالة سفاح المحارم يطلق عليه ناكح الأقارب True Endogamous الذي يظهر بدون تخطيط مسبق و لا تعتمد يقوم به شخص له مركز مهم داخل الأسرة يقوم بواجباته و مسؤولياته الأسرية بشكل جيد و سليم و لا توجد له مشكلات في الحياة العامة التي يحياها .

لكن هناك من يقف ناقدا لهذه النظرية التي تركز على الغريزة الجنسية و المتغيرات الذاتية الفردية و تهمل نفوذ و مكانة الرجل التي تمثل مصادر الاغتصاب و العنف الجنسي مع الطفل أو الزوجة داخل الأسرة، لأن الأب يشعر بنفوذه و هيمنته على أفراد الأسرة و له الحق في التصرف معهم و كأنهم جزء من ملكيته المادية بل غالبا ما يشعر بأن أبناءه جزء من امتداد له متناسيا أنهم أفراد و لهم مشاعر و حاجات وحقوق خاصة بهم .¹³

2-2- نظرية البناء الاجتماعي:

تقضي هذه النظرية إلى حقيقة اجتماعية مفادها أن : معايير و قيم الأدوار الاجتماعية و نظام تقسيم العمل المبني على الجنس (ذكر - أنثى) التي يتضمنها النسق الاجتماعي (الذي يمثل محورا مركزيا للبناء الاجتماعي) يدعم و يغذي تفوق الرجل و تسيده على المرأة، هذا الدعم - في الحقيقة - يتجلى في تحديد مسؤولية الأم في رعايتها الأطفال و تنشئتهم مع تحمل بسيط لهذه المسؤولية من قبل الأب، الحالة تكون أوضح عندما يعزز نظام تقسيم العمل دور المرأة و دور الرجل في الأسرة و المجتمع و هذا بدوره

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

يمنح الرجل استخدام قوته و نفوذه على زوجته التي يدفعها نحو الاهتمام برعاية أطفالها، بذات الوقت تدفعه نحو الاعتداء الجنسي على ابنته، بمعنى أن البناء الاجتماعي يجعل من المرأة تابعة للرجل وخانعة له وبخنوعها هذا يتعزز إنتاجها البشري (الإستولاد) ويدعم تفوق الرجل عليها.¹⁴

أما قول " فرويد " بأن : كل بالغ و راشد لديه دافع داخلي في اتصاله الجنسي مع الأطفال و أن الموانع الاجتماعية و الثقافية هي التي تمنعه من ذلك، فتبقى هذه الرغبة مكبوتة في داخله و هنا شبهة " فرويد " الإنسان الراشد بالحيوان البري، متناسيا عقل الإنسان و عواطفه الإنسانية التي تجعله يفكر بمسؤوليته الإنسانية و العمرية و النفوذية نحو إنسان أصغر منه سنا و قوة و عقلا في استغلاله و اغتصابه .

وهذه النظرية لا تلتقي مع نظرية " بول جيهارد " و زملائه في نظريتهم هذه لأن الإنسان الراشد لديه تفكير و عقل و أحاسيس إنسانية قبل أن يكتسب موانع ثقافية و اجتماعية و أن السكر و فقدان الوعي الذي يعطل التفكير و الأحاسيس الإنسانية لا يكون وحده سببا كافيا في ممارسة الاغتصاب الجنسي للأطفال لأن هناك العديد من الأفراد البالغين يسكرون و يفقدون وعيهم و لا يغتصبون أطفالهم و أطفال الغرباء أو حتى صبايا و شابات، وأن ما جاءت به هذه النظرية من تأويلات أعدّها تبريرات واهية ضعيفة الإسناد .

وما يمكن قوله عن نظرية البناء الاجتماعي هو أن مستخدميها بالغوا في تأويلهم لها في تفسير هذا السلوك الشاذ لأنها (أي النظرية) لا تدعم و لا تشجع على الخروج عن معايير و قيم النسق الاجتماعي بل تعززها و تعيب على كل من يجنح عنها و لا توجد في - تاريخ المجتمعات - أي ثقافة اجتماعية سمحت أو تسمح باستغلال الطفل جنسيا .

فقد يحصل استغلال مالي أو اقتصادي أو اجتماعي إنما جنسي فلا يحصل إلا عند الشواذ لأنها (الطفلة) مرتبطة بالأب أو الأخ دمويا.¹⁵

إن هذه النظرية تفسر الروابط الدموية على أنها من أقوى الروابط و توصم كل من يتحلل منها و لو أنها تعزز سيادة الرجل على المرأة لكن ليس على الطفل الابنة و لأنها تؤكد على التضامن الأسري و لا تفككها و تغذي الصوابط العرفية لا اختراقه .

ثالثاً: العنف الجنسي على الطفل أو الإساءة الجنسية الواقعة على الطفل

تندرج الإساءة الجنسية للطفل داخل الأسرة ضمن ما يسمى باشتهااء المحارم و تشمل: " كل النشاطات الجنسية بين الطفل و أشخاص تجمع بينهم صلة قرى شديدة الوثوق بحيث أنّ زواجهم من بعضهم هو غير شرعي كالعلاقة بين الآباء و الأبناء، بين الأشقاء و الشقيقات، بين الأجداد و الأحفاد، بين الأعمام و العمّات و أبناء الأخ، بين الخالات و الأخوال و أبناء الأخت " و هذا ما يشار إليه باسم سفاح القرى

و لا تقتصر الإساءة الجنسية على سفاح القرى بل إنّها تشمل أيضا التعدي الجنسي المتأّتي من أحد أفراد العائلة (زوج الأم، الصهر) أو من الأقارب أو من (راشد يمثل صورة الأهل) كما في حالات التبنّي و كذلك من الأشخاص المقربين من العائلة و الذين يتردّدون إليها و الذين يبني الطفل معهم علاقة ودّ وثيقة .

كما تندرج الإساءة الجنسية بحق الطفل من مشاهدة أجزاء حميمة من جسمه إلى الملامسة الشاذة له استطراداً إلى العلاقة الجنسية الكاملة معه إلا أنّ التحرش الجنسي الأكثر شيوعاً هو اللمس ذو الدلالات الجنسية¹⁶.

رابعاً: أشكال العنف الجنسي الواقع على الطفل:

تندرج الإساءة الجنسية الواقعة على الطفل ضمن ثلاثة أشكال رئيسية هي:

1-4 الإساءة الجنسية الجسدية التناسلية: وتشمل النماذج التالية:

- ✓ تقبيل الطفل بطريقة حميمية و لمسه و تحسس جسده ضدّ رغبته.
- ✓ تشجيع الطفل أو إرغامه على لمس مواضع حميمة من جسم الجاني.
- ✓ إرغامه على الجلوس في حضن المعتدي لمداعبته رغماً عنه.
- ✓ لمس ثدي الطفل و مداعبته بالقوة.
- ✓ وضع العضو الجنسي للجاني في أماكن حميمة من جسم الضحية .

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

✓ الولوج في شرح الضحية و محاولة الولوج في مهبل الطفلة .

✓ علاقة جنسية جافة دون ولوج .

✓ إثارة العضو الجنسي للجاني بواسطة فم الضحية .

✓ مداعبة عضو الضحية بالفم و مطالبتها القيام بالسلوك نفسه مع الجاني .

4-2-الإساءة الجنسية البصرية:

✓ يقوم المتحرش باستعراض جسده العاري أو بالكشف عن أعضائه الجنسية للطفل أو بالتعري أمامه أو إرغامه على مشاهدة ما يعرضه عليه.

✓ إرغام الطفل على مشاهدة صور إباحية أو أفلام خلاقية أو مجلات فاضحة لممارسات جنسية شاذة.

✓ إرغامه على استعراض أعضائه الجنسية أو على التعري أمام المتحرش.

✓ اختلاس النظر كمرآبته خفية من خلال ثقب الباب أو النافذة عند خلع ثيابه.

✓ الاستمنااء أمامه.

4-3-الإساءة الجنسية الشفهية: تشمل على سبيل المثال لا الحصر مايلي :

✓ التحدّث مع الطفل بأسلوب عابث مواجهة أو عبر التلفون.

✓ إخباره نكتا و قصصا بذينة.

✓ استعمال أمامه كلمات ذات دلالات جنسية أو اقتراحات فاسدة أخلاقيا على نحو صريح.

✓ اطلاعه على أمور إباحية.¹⁷

✓ إجباره على التلفظ بكلمات فاضحة .

4-4- الاستغلال الجنسي للطفل:

يشمل كل أشكال استعمال الطفل كأداة للإثارة الجنسية كاستغلاله في إنتاج المواد الإباحية عبر تصويره في وضعيات جنسية أو في صور أو أفلام للدعارة أو للإتجار الجنسي به.

خامسا: مراحل التحرش الجنسي بالطفل

إن تحويل الطفل إلى ضحية يمر بعدة مراحل :

✓ 5-1- تهيئة الضحية مرحلة الرشوة والتشريط: يتم فيه اللجوء إلى أسلوب الإغراء المادي فيرشوه و يجلب له الهدايا و الحلويات أو يبدي اهتماما ظاهرا به فيجلسه في حضنه و يلاطفه و يلعب معه لعبة يحبها فيقع التشريط بين رغبات الضحية و تقديرات المتحرش فإذا ما تجاوز الطفل جيدا مع الودّ العلني انتقل به المتحرش إلى المرحلة الثانية، أمّا في حالة عدم تجاوبه معه بحث المعتدي عن بديل أو عن ضحية جديدة .

5-2- التفاعل الجنسي وتورط الضحية: بعد هذا التخدير المتدرج للضحية تبدأ بشكل عام محاولات المتحرش بمداعبة الطفل فيقبله و يعانقه بحنان ثمّ يلمسه و يتحسس عرضه في أماكن حساسة من جسمه محاولا إقناعه بأنهما يلعبان و سيشتريان الحلويات ما إن ينتهيا من اللعب.¹⁸

5-3- السيطرة على الضحية: تزداد سيطرة الجاني على الضحية بشكل واضح و يلجأ إلى:

✓ السرية: فالمحافظة على السر هو أمر بالغ الأهمية بالنسبة للمعتدي لتلافي العواقب من ناحية

و لضمان استمرارية السيطرة على ضحيته من جهة أخرى.

✓ التلاعب بمشاعر الضحية: يوهم المعتدي الطفل بأنه المفضل لديه و أنّه سيعتاد على أسلوبه

في التعبير عن حبه، و أنّه بطل قصة سرية تماما كأبطال السينما و مرة أخرى يوهمه بمعاقبته

و التخلي عنه و حرمانه من الهدايا إن أخلّ الاتفاق بينهما، ممّا يسمح للجاني بإشباع رغباته الجنسية.

5-4- التهديد العلني أو الضمني: يقوم الجاني بتهديد الطفل بحياته أو بعائلته أو بمن يحب إن لم يمتثل لأوامره أي تخويف الطفل و ترهيبه بأنّ الإفصاح عمّا يجري بينهما لن يكون في مصلحته ممّا يضمن استمرار و تطور العلاقة.

5-5- الكشف عن التحرش والنجاة منه أو الاخفاء والكبت: هذه المرحلة تشكّل مفترقا هاما إذ أنّ الطفل إمّا ينجو باتجاه الكشف عن تعرّضه للإساءة الجنسية و التحرّر منها إن قدّم له المحيط الدعم و المساندة و إمّا ينجو باتجاه إخفاء ما يحدث و استمرار تعرّضه للإساءة الجنسية وصولا إلى الكبت وما يترتب عنه من مظاهر اضطرابيه.¹⁹

سادسا: عوامل الاستغلال الجنسي

لا يوجد سبب واحد يبرّر حدوث العنف نحو الطفل إنّما هناك عوامل متشابكة تتفاعل في سياق اجتماعي و ثقافي و يمكن أن نصنّف هذه العوامل إلى نوعين هما :

6-1-العوامل غير النفسية:

و هي عوامل ترتبط بالبيئة المحيطة بالطفل منها:

أ- الضغط الثقافي المجتمعي : هذا العامل له علاقة واضحة بإساءة معاملة الطفل بأشكال مختلفة بما فيها الإساءة الجنسية، فالحرمان الاجتماعي و الاقتصادي و قلة مساعدة المجتمع يمكن أن تساهم في إساءة معاملة الطفل إضافة إلى عدم كفاية القوانين التي تحكم الاعتداءات الجنسية على المرأة و الطفل و عدم وقوع بعض المفاهيم المتعلقة بالإساءة الجنسية في دائرة المعالجة القانونية و لقد وضعت عناصر أربعة تتفاعل مع بعضها قبل أن تظهر الإساءة الجنسية للطفل و تتمثل في :

✓ تطوّر الفرد و خصائصه التي تسهم في تحوّل إساءة المعاملة.

✓ النظام الداخلي المصغّر المرتبط بجوانب الأسرة مثل التوتر بين الزوجين.

✓ النظام الخارجي المرتبط بالمجتمع و الحقوق الاجتماعية مثل البطالة.

✓ النظام الكبير و يتكون في المحددات الثقافية مثل قبول المجتمع للسلوكيات الجنسية خارج نطاق الأسرة الطبيعية أو لسلوكيات جنسية معينة كما يتكون من الرخاء الاقتصادي.

ب- **خصائص الطفل:** بمعنى أنّ عوامل الخطورة تجعل من بعض الأطفال أكثر عرضة للاعتداء الجنسي من غيرهم مثل الإعاقة السمعية أو تخلف عقلي يكونون أكثر عرضة لإساءة المعاملة و الإهمال عند المقارنة بنظرائهم لما يمثلونه من أهداف جنسية سهلة و غير معترفة و صامتة بالنسبة للمعتدي جنسيا.²⁰

ت- **خصائص الوالدين:** خلال فترة الستينات ظهر افتراض يعد الآباء و الأمّهات المسيئين للمعاملة مرضى نفسيين و ذهانيين و ساديين كما أنّ لديهم اضطرابات في الشخصية، غير أنّ هذا الافتراض لم يكتمل تماما لأنّه وجد آباء يعتدون جنسيا على أطفالهم، و على أطفال غيرهم وذلك يرتبط بقوة الدافع الجنسي لديهم و ضعف القدرة و الاحتكاك المباشر مع الطفل الذي يجعله موضوعا جنسيا نموذجيا لهم، ناهيك أنّهم يكونون قد تعرّضوا لاستغلال جنسي أو الإهمال عندما كانوا أطفالا .

6-2- العوامل النفسية من جهة السلوكيين:

إنّ الإساءة الجنسية سلوك يتمّ تعلّمه بدرجة كبيرة في مرحلة الطفولة و هذا ما أظهرته الأبحاث من أنّ معدلات إساءة معاملة الطفل جنسيا أعلى بدرجة أكبر في الأسرة التي كان فيها الوالدان يدركون أنّ آبائهم أو أشخاصا مقربين لهم قد قاموا باستغلالهم جنسيا عندما كانوا أطفالا و بالتالي يحى السلوك الجنسي الطبيعي الوجه للراشد من الجنس المقابل و يصبح السلوك الجنسي تجاه الطفل موجودا في الخيالات الجنسية، و يبدو هذا التفسير مقبولا إذا كان الراشد المعتدي غير قادر على إقامة علاقة جنسية سوية و طبيعية مع الراشد من الجنس الآخر.²¹

سابعاً: أعراض الاعتداء الجنسي على الطفل

هناك الكثير من الحالات لا يعلن عنها فيصاب المعتدي عليه بأعراض جسدية و نفسية نذكر منها:

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

✓ أعراض جسمانية غير مبرر - خوف و عدم رغبة في أشخاص معينين و أماكن معينة

✓ اضطرابات في النوم و صداع شبه دائم - مشكلات دراسية

✓ الانسحاب بعيدا عن الأسرة و الأصدقاء و الأنشطة - العودة إلى سلوكيات الطفولة

✓ عدم احترام النفس - سلوك يهدف منه إلى إيذاء الذات- العدوانية و الاندفاع

✓ الإدمان على الخمر و العقاقير- ظهور علامات مبكرة لنشاط جنسي منحرف

✓ محاولات الانتحار.

و عادة ما تظهر أعراض أخرى منها:

✓ أن يتحدثوا عن الجنس و قد يمارسوه إذا كانوا صغارا أمام الأسرة

✓ الآلام غير المبررة في الأماكن الجنسية و الشرج و كثرة البكاء .²²

ثامنا: أسباب عدم تصريح الأطفال بالعنف الجنسي الممارس عليهم

يعاني الأطفال معاناة شديدة من العنف و قد لا يتطلعون إلى الإبلاغ عن ذلك إذا حدث هذا العنف الجنسي من أحد أفراد الأسرة أو المقربين من الأقارب و الأصدقاء و هم لا يستطيعون ذلك للأسباب الآتية :

✓ فقد يكون قد تمّ تحذيرهم لكي لا يذكروا ما حدث.

✓ أنّه يختلط عليهم الأمر حيث يصاحب العنف الاعتداء الجنسي الكثير من الاهتمام و المودة.

✓ أنّهم يشكون في أنّ الأسرة سوف تثق فيما يقولون .

✓ أنّهم يشعرون بالخجل الشديد من أن يذكروا ما حدث.

✓ أنهم يخافون من حدوث مشكلة كبيرة بين مع من يحبون.

و عليه فإننا نرى أنّ هذه الأعمال العنيفة جنسيا ضدّ الأطفال يصاحبها عددا من الأحاسيس مثل الخوف و الغضب و العزلة و تأنيب الضمير و يصبح لديهم اختلاط معرفي من الإحساس بالعار

تاسعا: هوية المعتدي جنسيا على الأطفال

المهووسون بالتحرش الجنسي بالأطفال من هم ؟ و كيف نتعرّف إليهم؟²³

" لم تتوصّل الدراسات و الأبحاث العلمية حتى الآن إلى تحديد خصائص ثابتة و صفات موحدة و معايير و محكات نفسية و سلوكية دقيقة لتحديد كامل لهوية المعتدي الجنسي للأطفال، فقد نجده في أرقى المستويات الاقتصادية و الثقافية، كما في أنداها، و في مختلف البيئات الاجتماعية الملتزمة منها و المتحررة، و بين الإناث و الذكور، و في مختلف الفئات العمرية وصولا إلى سنّ الشيخوخة. وقد نجده بين المضطربين عقليا و المتخلفين ذهنيا، و بين المدمنين و الجانحين و المنحرفين جنسيا، و إن كان يستحيل علينا التعميم بأنّ كل هذه الفئات هي من المعتدين جنسيا على الأطفال إلا أنّ أغلب الذين يرتكبون إساءة جنسية بحق الأطفال يبدون ظاهريا كأشخاص عاديين من الصعب رصدتهم لأنّهم في مواقف كثيرة يبدون متكيفين اجتماعيا، سلوكهم العام العلني لا يوحي أبدا بالمخاطر التي يكتونها لأطفالنا حتى أنّ خطرهم يكون على مقربة من طفلنا دون أن نشعر بذلك، و هم على كل حال لا يعتمدون وسائل الإشباع نفسها، فمنهم من يفرّج عن نفسه من خلال مشاهدة الصور و أشرطة الفيديو، و منهم من يستعرض نفسه أمام الأطفال، و منهم من لا يتورّع عن التحرش بالطفل وصولا أحيانا إلى قتله".

عاشرا: النتائج بعيدة المدى للإعتداء الجنسي على الأطفال

يبدو أنّ 20% من المعتدي عليهم يمكن أن يعود إلى الأوضاع الطبيعية إذا وجدوا من يتّخذ لأجلهم التدابير التربوية، و التقهّم اللازم في وقت مبكر و إلّا فإنّ حالتهم تسوء و تتدهور تدريجيا مع تقدّمهم بالسن، فالإساءة الجنسية التي يتعرّض لها لا تنتهي بشكل عام عندما يتوقف التعدي الجنسي عليه بل إنّها قد تلازمه و تؤثر عليه سلبا مدى الحياة، كما أنّها تنعكس على حياة القريبين منه، و هي تحدث كمّا كبيرا من القلق يلزمه طوال فترة المراهقة و الحياة الراشدة.

و في هذا الإطار وصف " كيندال تاكيت " و " مارشال " سبعة مجالات من الاضطرابات التي تظهر لدى البالغين و الناجمة عن إساءة جنسية وقعت في فترة الطفولة أو المراهقة:

✓ اضطرابات ما بعد الصدمة (مثل الأفكار الوسواسية المتطفلة، الصور و الذكريات المفاجئة المستعادة عن تجربة الإساءة).

✓ الإضطرابات المعرفية (مثل النظر إلى العالم على أنه مكان خطر، الشعور المزمن بالعجز، تدني تقدير الذات)

✓ الإضطرابات العاطفية (مثل الاكتئاب، الخوف، القلق، الرهاب، الوسواس القهري، الغضب)

✓ ضعف في الإحساس بقيمة الذات (مثل الصعوبة في حماية الذات، الصعوبة في وضع الحدود).²⁴

✓ تفادي المواجهة، الفرط في الشرود الذهني، فقدان الذاكرة فيما يتعلق بالحوادث المرتبطة بالإساءة.

✓ صعوبات في العلاقات مع الأشخاص الآخرين (مثل الاضطرابات في العلاقات الحميمة، صعوبة في التعبير عن الذات و التعاطي بشكل حميم)

✓ مشكلات صحية (مثل التغيرات في بنية الدماغ، قصور في جهاز المناعة، إحساس بالتعب، مشكلات في الجهاز التناسلي، آلام في الرأس، تعاطي المخدرات و الكحول).

إحدى عشر: دور الأسرة في التعامل مع الإساءة الجنسية

على الأسرة ملاحظة التغير في سلوك الطفل وانعزاله أو حزنه ، وسؤاله عن مصدر تعبه بدلا من إيهامه أنه يتمتع بصحة جيدة ، وإذا ذكر الطفل عبارات من مثل أنا لا أحب ولد عمي أو حدد فلان بعينه فعلى الأسرة التوقف عن كلمة " عيب " و الاهتمام بسبب عدم رغبته بالشخص و مراقبتها أثناء التعامل. وأحيانا يرفض الطفل الذهاب إلى مكان معين وتخطئ الأسرة بإرغامه على الذهاب دون محاولة معرفة سبب رفضه. وعى الوالدين الاهتمام بالطفل عند الشك في تحرش محارم به لأنه خطر على الطفل و يشعره أن أكثر شخص ينتظر منه الرعاية والأمان هو الذي يعتدي عليه . ويقع دور الأبوين كذلك هنا

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

في عدم إهمال الجانب النفسي للطفل و الاستماع إلى شكوى الطفل مهما كانت و تصديقه. كما يجب على الوالدين مراقبة أبنائهم والتعرف على أصدقائهم و عدم السماح بالزيارات المنزلية غير المضبوطة ، والتي تحدث دون وجود أحد من أعضاء الأسرة .²⁵

كما يجب تفقد الملابس الداخلية للطفل ، ومراقبة سلوكياته الانعزالية حيث يميل الطفل الذي تعرض إلى تحرشات جنسية إلى الابتعاد عن الآخرين، وأيضا يجب مقارنة علاماته حيث يميل الطفل المعرض للإساءة الجنسية إلى السرحان .

وفي الأخير يمكن القول أنه يمكن استخدام أسلوب القصص للطفل لمساعدته على الحديث من خلال تقديم قصص للمجرمين وكيف ساعد آخرون في القبض عليهم من خلال إخبار والديهم .

اثنا عشر: التربية الجنسية كوقاية من الاعتداء الجنسي

إنّ الله خلقنا و شرفنا بنعم عديدة منها نعمة الجنس كوسيلة للتكاثر و تلبية غريزة مفطورين عليها، فالآباء هم النموذج المقدّس للأبناء و غالبا ما يمتلكون القدرة على ضبط و تنظيم هذه العملية الجنسية لأبنائهم بدلا من تجاهلها، إذ تعتبر التربية الجنسية من أكثر أنواع التربية صعوبة كذلك نجد أنّ نسبة من يعطيها حقها بإخلاص و أمانة من الآباء قليل جدّا، فسياسة التعامي و دس الرأس في الرمل أو الظنّ بأننا نستطيع أن نحمي أبنائنا من التعرّض لمعلومات من هذا النوع تعدّ تغايبا منا و محاولة للتصلّل من الدور الأساسي الذي نحتاج إلى أن نؤديه في هذا المجال .

فالتربية الجنسية هي عملية اكتساب المعلومات و تشكيل المواقف و الأفكار حول الجنس و الهوية الجنسية و العلاقات و الألفة، كذلك تتعلق هذه الثقافة بتطوير مهارات الأبناء من كلا الجنسين كي تتوفر لهم خيارات حول سلوكهم و يشعروا بالراحة و المقدرة على تنفيذ هذه الخيارات ، و هي جزء من الثقافة الجنسية الصحيّة العامة.

و يختلف علماء النفس و التربية حول السنّ المناسبة لابتداء الثقافة الجنسية العلمية فيقترح بعضهم تقديم هذه المعلومات في سن مبكرة قبل عمر الخمس سنوات، بينما يقترح آخرون تقديمها في عمر متأخر لكن يتفق الجميع على ضرورة إعطاء معلومات مبسطة و علمية مناسبة و بلغة هادئة ومنطقية بعيدة عن الإثارة ضمن إطار ما يعرف باسم " حقائق الحياة " .²⁶

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

لذا لا بدّ من إدخال مفاهيم التربية الجنسية في جميع مراحل التوعية و التثقيف حيث أنّ ذلك لا يعتبر ضرورة اجتماعية و نفسية فحسب، و إنّما يعتبر ضرورة بيئية و صحّية كذلك بعد أن أصبح الانفجار السكاني مشكلة العصر و الأمراض الناجمة عن الجهل الجنسي طاعونا يهدّد السكان و يهدّد الموارد و يجعل حتى أغنى الدول عاجزة اقتصاديا أمام النهوض بأعباء العلاج؛ فالتربية الجنسية جزء من الإعداد للحياة و الحياة التشاركية و الزواج و الأسرة.

الخاتمة:

لا شك أنّ تعرّض الطفل للإساءة الجنسية يستوجب تأهيله نفسيا لمساعدته على تبديد مشاعره الذنب و التهديد التي يتعايش معها يوميا، و لتسليحه بمشاعر الأمن و الاطمئنان، و الثقة بالناس التي يفتقدها و من المعروف أنّ الإساءة الجنسية للطفل تقع في كافة البيئات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية، و في المدن كما في الأرياف، غير أنّ مراكز التأهيل ليست بهذه الشمولية في الانتشار. بالإضافة إلى أنّ الأمر يتوقف على مدى تجاوب العائلة، ومدى تحسّسها لأهميّة التأهيل، ومدى تخطيها لمشاعر العار و الذنب و مدى قدرتها على تجاوز حاجتها إلى التحكم و التسترّ على الفضيحة و لو على حساب الضحية.

هذا و تبقى الوقاية خير من العلاج، فكّلما كان الطفل محصّنا بالمعرفة و الوعي، كلّما كثرت فرص النجاة من العنف الجنسي الواقع عليه، والأهل الذين يعلّمون بعض سبل الوقاية لأولادهم والذين يطلعونهم على ضرورة التنبّه لحميمية أجسادهم و عدم السماح لأيّ شخص بانتهاك هذه الخصوصية، يحصّنونهم من مخاطر التعرّض لهذه المواقف ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يجب تزويد الطفل بالمعرفة الكاملة لا نصفها حول النمو الجنسي ، وتعبّده على تسمية الأشياء كما خلقها الله لنا وفي الأخير نؤكد على ضرورة إدخال مفاهيم التربية الجنسية في جميع مراحل التربية و التثقيف لأنها جزء من الإعداد للحياة والحياة التشاركية و الزواج والأسرة .

التوصيات:

لتحصين الطفل من الوقوع في دروب العنف الأسري الممارس عليه وحمايته من خطر الإساءة الجنسية الواقعة عليه وجب على الآباء الالتزام بالوصايا العشر في التربية الجنسية حيال أبنائهم والتي يمكن حصرها في :

✓ حب الله فوق كل شيء و مسؤولية الأب العمل على جعل الضمير يتحكم في الابن .

العنف الجنسي على الطفل في الأسرة

- ✓ اهتم بالأشياء الجيدة و لا تركّز على الجوانب السلبية فقط التي تظهر على ابنك و هذا يتطلب منك أن تكون نموذجاً إيجابياً للطفل .
- ✓ تعلّم لتعط أطفالك .
- ✓ هيئ ابنك للمراحل القادمة و علّمه ضبط الذات الجنسية و ضبط شهواته المندفعة من خلال الاستعداد للحرب قبل وقوعها .
- ✓ اجلس مع ابنك و دع الخرافات التي تُظهر الأب مصدر السلطة و لا يقوم إلاّ بالأوامر و النواهي و حاول الجلوس مع أبنائك فردياً و جماعياً .
- ✓ اترك للطفل حرية للسؤال و لا تقمعه و لكن علّمه التأدب في توجيه السؤال .
- ✓ لا تكثر من قول كلمة "عيب " لأنّه بعد كل مرة تقول فيها هذه الكلمة، يذهب ابنك للآخرين ليتأكد ممّا يدور في ذهنه .
- ✓ عزّز السلوك الجنسي المناسب الذي تلاحظه لدى ابنك مثل غض البصر .
- ✓ لا تقلق إذا تصرفَ الطفل جنسياً بما لا تريد فذلك من حب الفضول و الاستطلاع .
- ✓ أشرك شريكك في تربية الأبناء الجنسية قدر الإمكان و لا تقم بها وحدك .

الهوامش:

- ¹ حسنين توفيق ابراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص42.
- ² اتفاقية حقوق الطفل، قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، الفقرة1، المادة 19، 1989.
- ³ صفوان مبيضين، العنف المجتمعي، اليازوري، د س، ص88.
- ⁴ عبد الباري محمد داود، فلسفة الطفل التربوية، مكتبة و مطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، (ط 1)، 2003، ص13.
- ⁵ أحمد محمد صوان، مدخل إلى مصطلحات أدب الأطفال وثقافتهم، مجلة الجندي المسلم، العدد120، 01 جويلية 2007.
- ⁶ موسى نجيب موسى، الطفل الموهوب: موهبته و رعايته في محيط الاسرة، مؤسسة الوراق، عمان، 2009، ص84.
- ⁷ عبد الباري محمد داود، مرجع سبق ذكره، ص14.
- ⁸ محمد ابراهيم عيد، الابداع وثقافة الطفل، مجلة الطفولة والتنمية، العدد21، المجلد6، 2014، ص 149.
- ⁹ حاج سودي محمد، تمتع الطفل بحقوقه وصلته بالبعد المفاهيمي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد02، العدد25، ص371.
- ¹⁰ محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم، علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، 2005، ص22.
- ¹¹ نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة لتسويق والتوريدات، القاهرة، مصر، 2008، ص266.
- ¹² معن خليل العمر، علم اجتماع العنف، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1، عمان، 2010 ، ص ص 171 - 172.
- ¹³ المرجع نفسه ، ص ص 172 - 173.
- ¹⁴ المرجع نفسه، ص ص 173 - 174.
- ¹⁵ نفس المرجع، ص ص 174 - 175 .
- ¹⁶ باسمه المنلا، العنف الأسري على الطفل، دار النهضة العربية، ط1 ، بيروت، لبنان، 2012، ص ص157، 155 (بتصرف).
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص ص 186-187-188.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص ص 191-192-193 .
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص ص 194-195-196 .
- ²⁰ علي بركات : العوامل المجتمعية للعنف المدرسي، الهيئة العامة السورية، 2011 ، ص ص61-62.
- ²¹ المرجع نفسه، ص63.
- ²² المرجع نفسه، ص64.
- ²³ باسمه المنلا ، مرجع سبق ذكره، ص ص 160-161 .
- ²⁴ المرجع نفسه، ص ص 234-235 .
- ²⁵ فايزة الشمالي، أحمد أبو سعد ، دليل الاباء في التربية الجنسية للأبناء، دار الراية للنشر والتوزيع، الكويت، 2012، ص 54 .
- ²⁶ المرجع نفسه، ص13.

قائمة المراجع:

الكتب:

- 01- باسمه المنلا، العنف الأسري على الطفل ، دار النهضة العربية ، ط1، بيروت ، لبنان، 2012.

- 02- علي بركات ، العوامل المجتمعية للعنف المدرسي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا، 2010 .
 - 03- فايزة الشمالي ، أحمد أبو أسعد- تقديم صلاح الراشد- دليل الآباء في التربية الجنسية للأبناء ، دار الراية، مصر 2012 .
 - 04- معن خليل العمر ، علم الاجتماع العنف، دار الشروق ، ط1، عمان ، الأردن، 2012 .
 - 05- عبد الباري محمد داود، فلسفة الطفل التربوية، مكتبة و مطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، ط 1، 2003.
 - 06- موسى نجيب موسى، الطفل الموهوب: موهبته و رعايته في محيط الاسرة، مؤسسة الوراق، عمان، 2009.
 - 07- حسنين توفيق ابراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990.
 - 08- صفوان مبيضين، العنف المجتمعي، اليازوري، د س.
 - 09- محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم، علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005.
 - 10- نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة لتسويق والتوريدات، القاهرة، مصر، 2008.
- المجلات:**
- 11- محمد ابراهيم عيد، الابداع وثقافة الطفل، مجلة الطفولة والتنمية، العدد21، المجلد6، 2014.
 - 12- حاج سودي محمد، تمتع الطفل بحقوقه وصلته بالبعد المفاهيمي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 02، العدد25.
 - 13- أحمد محمد صوان، مدخل إلى مصطلحات أدب الاطفال وثقافتهم، مجلة الجندي المسلم، العدد120، 01 جويلية 2007.